التَّرْغِيبُ والتَّرْهِيبُ
دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ فِي سُورَةِ الوَاقِعَة

أ. م. د. حسن كاظم أسد
كلية التربية- جامعة ميسان

فحوى البحث

الترغيب: كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقول الحق و الثبات عليه.

والترهيب: كل ما يخيف و يحذر المدعو من عدم الاستجابة او رفض الحق او عدم الثبات عليه بعد قبوله.

يحاول السيد الباحث ان يتخذ من سورة الواقعة من القرآن الكريم انموذجاً لعرض هاتين الحقيقتين اللتين تعرضت لها ايات كثيرة وفي سور مكية او مدنية والبحث ينتهي بخاتمة واستنتاج وقائمة بالمصادر والمراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين، وبعد...

جعل لله من هذه الأمة قيادة الناس بنبينا محمد خاتم النبيين ﷺ، خصنا الله بدين الإسلام، وعلى منهج الإسلام نعمل، ومنهج الإسلام قائم على طرح النظرية القائمة على الترغيب والترهيب، في أخذ العبرة، والحض على التقوى، ومخافة الله، ولذلك فالأحكام يعللها القرآن الكريم بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أو بالتطهير والتزكية: ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، ثم في جانب تطبيقي يتجلى في العبادات والمعاملات.

الترغيب كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب: اسلوبي الترغيب والترهيب في الدعوة الى الله تعالى، وعدم اهماله من قبل الداعي المسلم.

الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وان يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة.

يذكرنا القرآن العظيم أن هناك حياة أخرى بعدها يعرض الناس فيها على الله تعالى، ويحاسبون على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فهذا البحرُ الزخّار، فيه علمٌ مخزونٌ نفعهُ عظيم، والأمر لا يحتاج إلى مزيد كلام، فهو مما استفاض واشتهر وفشا وانتشر، بين الأنام، ولا يحتمل وجهاً آخر، لكل من تَفَكَّر ونظر.

فلأجل تفاوت الفهوم، تعدَّدت التفاسير، واختلفت المشارب والمذاهب في فهم الأحكام، كما تعدَّدت المذاهب، بحسب ما منَّ الله مِنَ المواهب.

فلذلك فأن إسلوبا الترغيب والترهيب أسسا على فطرة الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم، والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير.

فأصبحت الشريعة الإسلامية لها ضوابط أخلاقية وتربوية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع ويتجلى ذلك في شروط لابد للمكلف في معرفة أحكام الشرع، في تمييزه الحلال من الحرام في أسلوب تربوي نفسي ينبع من داخل النفس، ضابطه الخوف من الله ومحبته، وتطبيق شريعته اتقاء لغضبه، وعذابه ورغبة في ثوابه، فتصبح الحياة أقرب ما تكون إلى الكمال، والسعادة والطمأنينة والاستقامة.

والترغيب وعد من الله يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده. والترهيب وعيد، وتهديد من اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي.

يمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات صادرة عن الطبيعة الربانية المواتية لفطرة الإنسان التي تتسم بها التربية الإسلامية، في اعتماده على الإقناع والبرهان في عملية سلوكية، فالإقناع عن طريق أخذ العبرة، ثم يعقبها التهديد أو الترغيب، ويكون الترغيب والترهيب القرآني بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس من خلال القصة القرآنية، مصحوبا بصورة فنية، تصور للإنسان نعيم الجنة أو عذاب جهنم، كما انه يمتاز على إثارة الانفعالات الوجدانية، وتربية العواطف الربانية.

التمهيد

دراسة في المفاهيم

معنى الترغيب لغة واصطلاحاً:

مصدر الفعل رغَّبَ وأصل الفعل رغب فلان رغباً ورغبة ورُغبة حرص على الشيء وطمع فيه ورغب إليه ابتهل وضرع وطلب يقال رغب إليه في كذا وكذا سأله إياه ورغب عن الشيء تركه متعمداً وزهد فيه ورغب بنفسه عن الشيء ترفع عنه ورغب بنفسه عن فلان رأى لنفسه عليه فضلاً ورغب الشيء وفيه أراده[1].

وفكرة الترهيب والترغيب مادة مبتكرة وكانت تذكر في ثنايا الكتب الإسلامية... ومعنى الترغيب في الاصطلاح (هو ما يشير إلى ذكر ما تطمئن إليه النفس ويفرحها ويترك الأمل أمامها للوصول إلى أسمى غاياتها)[2].

أهمية الترغيب والترهيب:

تكمن أهمية الترغيب والترهيب في الأسلوب القرآني هي أهمية تربوية لغرض دعوة الناس إلى الخير ونيل رضا الله والسعادة في الدارين في إرجاع الناس إلى عقولهم والتمسك بالواجبات والانتهاء عن المحرمات (إذن، الترهيب يمثل عنصر القوة الصادة عن منهج الله وشريعته... والترغيب وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير، والسلوك الحسن، وابتغاء رضا الله، في كل عمل يفعله المرء، حرصا منه على نيل المرغب فيه وخشية من فواته...)[3].

أولا: الوصف العام للسورة المباركة:

الأجواء التي يستشعرها المستمع لسورة الواقعة أجواء تهويل وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضآلة

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة رغب، والقاموس المحيط، الفيروز ابادي، مادة رغب، والمعجم الوسيط، ١١/ ٣٥٧، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، اشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية.

(٢) الترغيب والترهيب، عبد الحكيم السعدي، تنقيح عبد الستار حامد، مطابع الدستور التجارية، بغداد، ٧٠.

(٣) الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وأهميتها في الدعوة إلى الله، كيلان خليل حيدر، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد٧، العدد١٣، السنة٢٠١٣م.

الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى[٤].

فالقضية الأولى التي تعالجها هذه السورة المكية هي قضية النشأة الآخرة رداً على قوله الشاكين فيها المشركين بالله المكذبين بالقرآن ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ومن ثم تبدأ السورة بوصف القيامة وصفها بصفتها التي تنهي كل قول وتقطع كل شك وتشعر بالجزم في هذا الأمر (الواقعة) ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ وتذكر أحداث هذا اليوم ما يميزه عن كل يوم حيث تتبدل أقدار الناس وأوضاع الأرض في ظل الهول الذي يبدل الأرض غير الأرض كما يبدل القيم غير القيم سواء ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾[٥] وتشتمل هذه السورة الكريمة ذات الست والتسعين آية على أحوال يوم القيامة وما يكون بين يدي الساعة وانقسام الناس إلى ثلاث طوائف (أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، السابقون) وتحدثت عنه قال كل فريق وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء العادل يوم الدين كما أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته في بديع خلقه وصنعه في خلق الإنسان وإخراج النبات وإنزال الماء وما أودعه الله من القوة في النار ثم نوهت بذكر القرآن الكريم وأنه تنزيل رب العالمين وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من شدائد وأهوال[٦].

وختمت السورة بذكر الطوائف الثلاث وهم أهل السعادة وأهل الشقاوة والسابقون إلى الخيرات من أهل النعيم وبينت عاقبة كل منهم...

أما فضل السورة المباركة فقد روي عن أبن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم

(٤) مشاهد يوم القيامة، [سورة الواقعة: ٤٠].
(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٧/ ٦٩٢.
(٦) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، دار القرآن الكريم، بيروت، ٣٠٤.

تصبه فاقة أبداً)[٧] وأخرج الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده عن أبي ظبية قال: (مرض عبد الله بن مسعود مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟. قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟. قال رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟. قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟. قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟. إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقه أبداً) فكان أبو ضبيه لا يدعها[٨].

هذا ما يخص فضل السورة المباركة أما وصفها بشكل الحس إلا بهزة عنيفة وهي منذ أفتتاحها تقرع هذا الحس وتطالعه بالهول القاصم والجد الصارم والمشهد تلو المشهد كله بإيقاع مُلِح على الحس بالهول آناً وبالجلال آناً وبالعذاب آناً وبالحركة القوية في كل آن... تبرز هذه المعاني في اسم القيامة المختار في هذه السورة الواقعة فقد أفتحت بالواقعة، وإنها لواقعة لا محالة وأنها ترفع أقواماً وتخفض آخرين وتلا ذلك الانقلابات الكونية إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

فكل شيء يتحطم وكل شيء يتبدل ويكون الناس ثلاث طوائف أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون السابقون ثم يبدأ التفصيل في جزاء هذه الطوائف الثلاث على طريقة القرآن العجيبة في التشبيهات والكنايات والمجازات بأسلوب فريد وبليغ ويتنوع أسلوب السورة في عرض حقائقها وأفكارها فترى فيها التصوير البارع والوصف الموجز البليغ القوي في الترغيب والترهيب ووصف مشاهد

(٧) التمهيد، ابن عبد البر، ٤/ ٢٦٩، وصفوة التفاسير، ٣/ ٣٠٤.
(٨) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٣٣/ ١٨٦، و تفسير أبن كثير، ٤/ ٣٠٢.

يوم القيامة وصور السورة مشوبة بروح التهديد والترهيب والتعظيم والتفخيم وهناك التمثيل والحوار وهو أسلوب من أساليب البلاغة العربية التي بلغ القرآن قمتها وذروتها فيها حديث عن أهل الجنة ونعيمهم العظيم وحديث عن أهل النار وأهوال العذاب وهناك الحديث والعرض المجرد عن بدائع خلق الله في الكون والأدلة على وجوده تبارك وتعالى كقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾الذي يحمل دليلاً فلسفياً واضحاً على أن الله هو الخالق المبدع والبارئ المصور سبحانه وتعالى عما يشركون وفيها القسم العظيم في آخر السورة حول عظمة القرآن وقداسته وتنزيله من رب العالمين وعرض في السورة مشاهد الاحتضار الرهيبة المرعبة التي يسلم فيها المرء لربه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم يختم السورة بمصير الطوائف الثلاث التي بدأ فيها الحديث في مقدمة السورة والتقى المطلع بالختام وهذا أسلوب بياني بليغ فيه جدة وابتكار كما أن هناك تجديد لفظي في السورة كالواقعة فهي ألفاظ معروفة عند العرب لكنها جديدة في إطلاقها على يوم القيامة وهناك قوة التصوير المناسبة بين اللفظ والمعنى فأن المدود والفتن والقلق في السورة توحي بموسيقاها وصيغتها بمعانيها وأهدافها[٩].

هذا ما يخص مبنى وهيكل السورة التعبيري والموسيقي والفني والتصويري أما الأفكار الأساسية التي تضمنتها السورة فيمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١. القرآن الكريم كتاب الله المنزل على محمد بن عبد الله ﷺ وهو الدستور الخالد الذي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين والقرآن هو معجزة الإسلام الكبرى وهو كتاب كريم لا يمسه إلا المطهرون وأنه تنزيل من رب العالمين.

٢. تبين السورة حقيقة الموت وترسم مشهد الاحتضار بأسلوب عجيب

(٩) ينظر: مشاهد يوم القيامة، سيد قطب، سورة الواقعة، ودراسات أدبية لنصوص قرآنية، محمد المبارك، ٤٠، وفي ظلال القرآن، مجلد ٧/ ٦٩٤، والتصوير الفني في القرآن.

وهذا ما نتناوله مفصلاً عندما ندرس آيات الترهيب في السورة المباركة إن شاء الله تعالى.

٣. في السورة أمر بتسبيح الله وتقديسه وإفراده بالعبودية والعبادة.

٤. يعرض في ثنايا السورة دلائل قدرة الله الفائقة في خلق الإنسان وإنزال الماء وإنبات الزرع وإيقاد النار من الشجر الأخضر.

٥. كان الشوط الأول من السورة منصباً على الانقلابات الكونية الهائلة التي تحدث عندما يأمر الله تعالى بالنفخ في الصور معلناً بداية الحساب العادل للناس أجمعين الذين تقسمهم السورة إلى ثلاث طوائف أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقين إلى الخيرات.

وهكذا بدأت السورة بما يزلزل الكيان البشري ويهول الحس الإنساني تجاه القضية التي ينكرها المنكرون ويكذب بها المشركون[١٠]، هذا مجمل المعاني الموجودة في السورة والتي ستفصلها وتحللها خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ولكي يتم الوصف الكامل للسورة لابد من الوقوف على شرح مفردات السورة الباركة.

قال البيضاوي سميت (واقعة لتحقق وقوعها)[١١]، وقال أبن عباس رضي الله عنه الواقعة أسم من أسماء القيامة كالصاخة والأزفة والطامة وهذه الأشياء تقتضي عظم شأنها.

رُجت: زلزلت وحركت تحريكاً شديداً.

بست: فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس.

هباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة.

ثلة: جماعة منه ثللت الشيء أي قطعته قاله الزجاج فمعنى ثله كمعنى فرقه وزناً ومعنى موضونة أي منسوجة محكمة النسج كأن بعضها أدخل في بعض قال الأعشي:

وَمِنْ نَسْجِ داودَ مَوضُونَةٌ

(١٠) ينظر: في ظلال القرآن، مجلد ٧/ ٦٩٤.

(١١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٢٨٣.

تُساقُ مع الحَيّ عيراً فعيرا[١٢]

يصدعون: صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع في رؤوسهم منها.

ينزفون: يسكرون فتذهب عقولهم.

مخضود: خضد شوكه أي قطع قال أمية من أبي الصلت: إنه الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواكب سدرها مخضود[١٣]، طلح الطلح شجر الموز- منضود متراكب بعضه فوق بعض.

عرباً: جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها.

سموم: ريح حارة تدخل مسام البدن. يحموم: اليحموم الشديد السواد.

الحميم: الماء المغلي.

الهيم: الإبل العطاش التي لا تروي لداء يصيبها.

تفكهون: تفكه بالشيء: تمتع به ورجل فكهٌ منبسط النفس غير مكترث بشيء.

المزن: السحاب جمع مزنه.

تورون: أورى النار من الزناد قدحها.

المقوين: المسافرين، يقال أقوى الرجل إذا دخل القواء وهو القفر والقوى الجوع.

مدهنون: المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كأنه شبه بالدهن في سهولة ظاهره ومنه المداهنة.

مدينين: مجزيين ومحاسبين من الدين بمعنى الجزاء.

قروح: الرَوح بفتح الراء الاستراحة.

ريحان: الريحان كل مشموم طيب الريح من النبات.

الدراسة التحليلية للآيات الكريمة التي احتوت الترغيب والترهيب في السورة المباركة:

أ. دراسة وتحليل آيات الترغيب:

احتوت سورة الواقعة على مشاهد ليوم القيامة ورسمت صوراً للنعيم مرغبةً فيه دالة على الخير وعمل المعروف حتى ينال الإنسان حسن العاقبة وجنات النعيم.

والآن نبدأ بدراسة وتحليل الآيات التي احتوت على الترغيب:

الصورة الأولى: قال تعالى:

(١٢) تفسير القرطبي، ١٧/ ٢٠١.
(١٣) البحر المحيط، ٨ -٢٠١.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[سورة الواقعة: ١٠ -٢٦]، سورة الواقعة تصنف الناس يوم القيامة إلى فرق ثلاث:

الأولى: أهل السبق ولهم مقام خاص وهم أصحاب الدرجات العلى في الجنة وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار وهذه مراتب الناس في الآخرة قال ميمون بن مهران (اثنان في الجنة وواحد في النار)[١٤]، ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)) هذا هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة أي السابقون إلى الخيرات والحسنات هم السابقون إلى النعيم والجنات ثم أثنى عليهم بقوله ((أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)) أي أولئك هم المقربون من الله[١٥]، في جنات النعيم أي هم في جنات الخلد يتنعمون فيها، قال الخازن: فأن قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين، قالت فيه لطيفة وذلك إن الله ذكر في أول السورة الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفاً لعباده فأما محسن فيزداد رغبة في الثواب وأما مسيء فيرجع عن أساءته خوفاً من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجدوا ويتمهدوا[١٦].

والمراد من السابقين هم السابقون إلى الخيرات والحسنات ولو أريد منهم

(١٤) مختصر تفسير أبن كثير، محمد علي الصابوني، ٣/ ٤٢٨.

(١٥) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ٣/ ٣٠٦.

(١٦) تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، دار المعرفة، لبنان، ٤/ ١٥.

السابقون إلى الإسلام فهو من مصاديق هذا المفهوم الكلي ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٦١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[سورة فاطر: ٣٢]. فالآية تقسم العباد إلى ظالم لنفسه والى مقتصد في الحياة ومعتدل في السلوك والى سابق بالخيرات بأذن الله تبارك وتعالى وفي نهج البلاغة تفسير لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

((شغل من الجنة والنار أمامه ساعٍ سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة))[١٧]،

(١٧) نهج البلاغة، محمد عبدة، خطبة ١٦، ومن كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة.

والسابقون لهم ميزات ذكرها الله سبحانه في كتابه المجيد منها:

١. يخشون ربهم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾.

٢. يؤمنون بآيات ربهم ولا ينكرونها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾.

٣. لا يشركون بالله طرفة عين ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾.

٤. يدفعون ما فرض الله عليهم في أموالهم ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾. ثم إن جميع هذه الصفات من صفات السابقين بشهادة أنه سبحانه وتعالى يذكر بعد هذه الميزات ويقول أن هؤلاء الموصوفون بها هم المسارعون في الخيرات يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٦١].

والسابقون إلى الخيرات هم المقربون كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، ولأجل مكانتهم الرفيعة عند الله فلهم من

الأجر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت يحكي القرآن بعضها بقوله: ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾.

وهذه الكرامة من الله سبحانه وتعالى لم تكن اعتباطية بل جزاء لعملهم في الدنيا كما يقول: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[سورة الواقعة: ١٢ -٢٦].

هؤلاء هم السابقون وهذه مكانتهم عند الله تبارك وهذا جزاؤهم في الآخرة، بقيت هنا نكته أخرى وهي أنه سبحانه وتعالى وصف جماعة بالمقربين وقال: ﴿ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[سورة الواقعة: ٨٨ -٨٩]. والمراد من المقربين هنا هم السابقون لما وصفه سبحانه في أول السورة بالمقربين وقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٠ -١١]، وحيث أن المراد من السابقين هم السابقون بالخيرات وصف السيد المسيح بأنه من المقربين وقال: ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٤٥]. ثم أنه تعالى وصف المقربين في آية أخرى بأسم شهداء كتاب الأبرار وقال ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففون: ١٨ -٢١] وعلى هذا فالسابقون هم المقربون وهم شهداء كتاب الأبرار.

وفي وصف نعيم المقربين يبدأ بالنعيم الأكبر، النعيم الأسنى نعيم القرب من ربهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وجنات النعيم كلها لا تساوي ذلك التقريب ولا تعدل ذلك النصيب[١٨]، وهذه درجة عظيمة أصحابها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين فهم عدد محدود وفريق منتقى كثرتهم في الأولين وقلتهم في الآخرين

(١٨) في ظلال القرآن، ٢٧/ ٦٩٥.

واختلفت الروايات في من هم الأولون ومن هم الآخرون فالقول الأول إن المقربين الأولين هم السابقون إلى الإيمان ذوو الدرجة العالية فيه من الأمم السابقة قبل الإسلام وإن الآخرين هم السابقون إلى الإسلام ذوو البلاء فيه.

القول الثاني: إن الأولين والآخرين هم من أمة محمدﷺ فالأولون من صدرها والآخرون من متأخريها[١٩]، ورجحه الحسن وأبن سيرين[٢٠].

وحدث عبد الله أبن أبي بكر المزني قال سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم أجعلنا من أصحاب اليمين والمناعم في الجنة لهؤلاء عظيمة جداً تبدأ بالسرر الموضونة المشبكة بالمعادن الثمينة[٢١]، ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ في راحة وخلو بال من الهموم والمشاغل ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ لا يفعل فيهم الزمن، ولا تؤثر في شبابهم وصباحتهم السن ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ من خمر صافية سائقة، ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا كله مكافأة على عمل كان في دار العمل، حياة كلها سلام يرفعليه السلام ويشيع فيها السلام تسلم عليهم الملائكة في ذلك الجو الناعم الآمن ويسلم بعضهم على بعض ويبلغهم السلام من الرحمن فالجو كله سلام سلام[٢٢].

وعلى أية حالة فهم فرقة ممتازة في النعيم وهو هنا نعيم مادي حسي فلعل هؤلاء هم المحرومون في الدنيا الذين صبروا على الشغف وسارعت نفوسهم إلى الإيمان واثقين في فضل الرحمن[٢٣]، ويذكر أبن عباس حديثاً عن رسول

(١٩) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٥٣.
(٢٠) في ظلال القرآن، ٢٧/ ٦٩٥.
(٢١) مختصر أبن كثير، ٣/ ٤٣٠.
(٢٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٧/ ٦٩٦.
(٢٣) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١، ١١٦.

الله ﷺ (أنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيحز بين يديك مشوياً)[٢٤].

(قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن عطاء عن كعب قال: إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطففن له فإذا اشتهى منها شيئا أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شئ)[٢٥]، وقال في خمر الآخرة: في الخمر أربع خصال (السكر والصداع والقيء والبول وقد ذكر تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال الذميمة)[٢٦].

وفي وصف النساء جاء الترغيب ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ أي ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين الواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء كأنهم اللؤلؤ في الصفاء والنقاء الذي لم تمسه الأيدي قال في التسهيل: شبههن باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وحين سألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه قال: (صفاؤهن كصفاء الدر في الأحداق الذي لم تمسه الأيدي)[٢٧].

ومن كمال النعيم أنهم لا يطرق آذانهم كلام فاحش ولا يلحقهم أثم مما يسمعوه، قال أبن عباس: ((لا يسمعون باطلاً ولا كذباً))[٢٨]، قال في البحر المحيط (والظاهر أنه استثناء فقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم)[٢٩]. وقال أبو السعود والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل منهم إلا سلام الآخر بدءاً أو رداً[٣٠].

(٢٤) الكامل، عبد الله بن عدي، ٢/ ٢٧٣.
(٢٥) تفسير بن كثير، ٤/ ٣٠٨.
(٢٦) مختصر تفسير أبن كثير، محمد علي الصابوني، ٣/ ٤٣٠.
(٢٧) مجمع الزوائد، الهيثمي، ١٠/ ٤١٧، والتسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ٤/ ٨٩.
(٢٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٠٦.
(٢٩) البحر المحيط، ٨/ ٢٠٦.
(٣٠) تفسير أبي السعود، ٨/ ١٩٢.

إلى هنا نأتي على تحليل النص الأول والمشهد الأول في الترغيب في سورة البقرة لندخل في المشهد الثاني وهو وصف النعيم لأصحاب اليمين.

الصورة الثانية: قال تعالى واصفاً نعيم الجنة الخاص بالفرقة الثانية (أصحاب اليمين) قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾[سورة الواقعة: ٢٧-٤٠].

بعد أن تحدث القرآن الكريم عن السابقين وأحوالهم يوم الدين أنتقل بالحديث إلى الفريق الثاني وهم أصحاب اليمين وهم أصحاب الميمنة ولهؤلاء نعيم مادي محسوس كذلك ولكنه يقم فيه شيء من الخشونة والبداوة بالقياس إلى ذلك النعيم اللين الناعم الذي يرفل به السابقون المقربون[٣١]، وقيل أن ندخل في نعيم أصحاب الإيمان لابد أن نقف على أصحاب اليمين في القرآن الكريم فنقول (أصحاب اليمين هم الطائفة الثانية ذكرهم سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧]، ثم ذكر أن أصحاب اليمين هم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

وأختلف المفسرون في المقصود من أصحاب اليمين والمعروف أن هناك رأيين في المقام الأول: أن المراد منهم هم الذين يعطون كتابهم بيمينهم وقد أستدلوا عليه بالآيات التالية: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٧١]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة: ١٩]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق: ٧-٨].

(٣١) مشاهد القيامة في القرآن، ١١٧.

وعلى ذلك فهؤلاء الذين أتسموا بأصحاب اليمين لأجل استلام كتبهم بيمينهم يتمتعون بمنزلة عظيمة عند الله سبحانه ذكرها سبحانه في غير واحدة من الآيات بعد الحديث عن دفع كتبهم إلى يمينهم يقول: ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾ [سورة الانشقاق: ٩]، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [سورة الحاقة: ٢١]، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴾[سورة الحاقة: ٢٢-٢٣]، ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

هذه هي النظرية الأولى في تفسير أصحاب اليمين أما النظرية الثانية في تفسير أصحاب اليمين فهي أن المقصود من اليمين هو اليمن والبركة وهؤلاء هم الذين وصفهم سبحانه في صدر سورة الواقعة بأصحاب الميمنة وقال تعالى ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ [سورة الواقعة: ٧-٨].

وبما أن أصحاب الميمنة يقابلون أصحاب المشأمة المأخوذ من الشؤم والشقاء فيكون أصحاب الميمنة مقابلاً لهم غارقون في البركة والنعمة كما أن الذين يقابلونهم غارقون في الشقاء والوصب ومما يؤيد إن أصحاب اليمين هم المتمتعون بنعم الله في الآخرة وقوله سبحانه ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ [سورة البلد: ١١-١٨]، والإمعان في سورة الواقعة التي هي الأصل في تصنيف الناس يوم القيامة يعطي هذا الانطباع إن أصحاب الميمنة هم أصحاب اليمين لا صنف آخر والدليل على ذلك إن السورة تصنف الناس إلى أصناف ثلاثة:

١. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة.
٢. أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة.
٣. السابقون السابقون أولئك المقربون.

فأصحاب اليمين هم أصحاب الخير واليمن والبركة والذين يعطون كتبهم بأيمانهم وجزاهم الله الجزاء الأوفى فهم

في سدر مخضود أي هم تحت أشجار النبق الذي قطع شوكه قال المفسرون والسدر شجر النبق والمخضود الذي خضد أي قطع شوكه[٣٢]، وفي الحديث الشريف (أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ فقال يا رسول الله أن الله تعالى ذكر في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال وما هي؟. قال السدر فأن له شوكاً، فقال: رسول الله ﷺ أليس الله يقول ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان لكل شوكة ثمرة وأن الثمرة من ثمره تفتق عن أثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر[٣٣]، وطلح منضود هو شجر الموز ومعنى مقصود أي متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه[٣٤]. ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ أي هم في الظل الدائم الذي لا تنسخه الشمس[٣٥].

(٣٢) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٠٨.
(٣٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسي، ٢٧/ ١٤٠.
(٣٤) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٠٨.
(٣٥) تفسير سورتي الواقعة والجمعة، جميل القريشي، ٣/ ٣٠٨.

وفي الخبر (حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود)[٣٦]، ومعنى ممدود أي لا زوال له فهو دائم (أكلها دائم وظلها، أي دائم الظل ليس ظل الأشجار بل ظل يخلقه الله تعالى)[٣٧]، وقد ورد قوله تعالى: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[سورة النساء: ٥٧].

وقد ورد في الحديث الشريف (حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته

(٣٦) صحيح البخاري، ٦/ ٥٧.
(٣٧) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ٢٩/ ١٦٤.

ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[٣٨].

وماء مسكوب أي وماءٍ جارٍ دائماً لا ينقطع يجري في نهر ممدود، «كانت العرب أصحاب بادية والأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا بالجنة بأسباب النزهة وهي الأشجار وظلالها والمياه والأنهار وجريانها[٣٩]، أما الفاكهة فهي لا مقطوعة ولا ممنوعة، متنوعة وكثيرة، قال أبن عباس: «لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها»[٤٠]، وفي تفسير آخر (ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا عاد مكانها أخرى)[٤١].

وقوله تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ وهم أي أصحاب اليمين على فرش عالية وطيئة ناعمة، أي عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال: وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به»[٤٢].

أما نساء الجنة فيقول الله تعالى في شأنهن ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ أي خلقنا نساء الجنة خلقاً جديداً وأبدعناهن إبداعاً عجيباً قال في التسهيل ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن في

(٣٨) صحيح البخاري، ١/ ١٦١.
(٣٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٠٩.
(٤٠) تفسير الخازن، ٤/ ١٨.
(٤١) تفسير البغوي، ٤/ ٢٨٣.
(٤٢) تفسير بن كثير، ٤/ ٣١٢.

الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع جميلة[٤٣]، قال أبن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط خلقهن الله بعد الكبر والهرم خلقاً آخر[٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ أما أبتداءً وهن الحور وأما استئنافا وهن الزوجات المبوثات شواب فجعلناهن أبكاراً لم يمسسن (عرباً) متحببات إلى أزواجهن (أترابا) متوافيات السن والشباب لأصحاب اليمين مخصصات لهم ليتنسق ذلك مع الفرش المرفوعة[٤٥].

و(عُرُباً) جمع عروب وهي المتحببة لزوجها العاشقة له قال مجاهد هن العاشقات لأزواجهن المتحببات لهم اللواتي يشتهين أزواجهن[٤٦]، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فقال: يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطاً عمشاً رمحاً جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء[٤٧].

وفي الحديث «حدثنا عبد بن حميد، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: «أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: يا أم فلان!. إن الجنة لا تدخلها عجوز، قال: فولت تبكي. فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾»[٤٨].

هذا النعيم لأصحاب اليمين الذين هم جماعة من الأولين من الأمم السابقة وجماعة من المتأخرين من أمة محمد ﷺ قال في البحر ولاتنا في بين هذه الآية ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ وبين الآية التي سبقتها وهي قوله ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ لأن الثانية في السابقين فلذلك قال:

(٤٣) كتاب التسهيل، ٤/ ٩٠.
(٤٤) تفسير الخازن، ٤/ ١٨.
(٤٥) في ظلال القرآن، ٢٧/ ٦٩٧.
(٤٦) روح المعاني، الآلوسي، ٢٧/ ١٤٣.
(٤٧) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ٢١٠.
(٤٨) الشمائل المحدية، الترمذي، ١٣٢، صفوة التفاسير، ٣، ص ٣٠٩.

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ وهذه في أصحاب اليمين ولذلك قال: ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[٤٩].

الصورة الثالثة: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ قد مر بنا صور النعيم الذي أعده الله للمقربين من الأرائك المشبكة بالمعادن والحور العين والطير المشوي والفاكهة والكأس المعين وهنا ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ الألفاظ ذاتها تقطر رقة ونداوة وتلقي ظلال الراحة الحلوة والنعيم اللين والأنس الكريم[٥٠]، والمراد بالمقربين السابقون الذين ذكروا في أول السورة[٥١].

وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك يا محمد منهم لأنهم في راحة وسعادة ونعيم[٥٢]، فيلتفت الخطاب إلى رسول الله ﷺ يبلغه تحيات أخوانه أصحاب اليمين وما أندى السلام ساعتئذ وما أحبه حين يتلقاه وقد بلغت الحلقوم فيطمئن باله ويشعر بالأنس في الصحبة المقبلة مع أصحاب اليمين[٥٣].

ب. دراسة وتحليل لآيات الترهيب في السورة:

الصورة الأولى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [سورة الواقعة: ١].

هول الساعة هنا مادي من النوع المرعب الرهيب فالقيامة هنا حادث واقع لا مجال لكذبه ولا تكذيبه ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ ولفظة الواقعة بما فيها من مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيقع فينتظر له الحس فرقعة وضجة[٥٤].

و (سميت واقعة لتحقق

(٤٩) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ٨/ ٢٠٧.

(٥٠) في ظلال القرآن ٢٧/ ٧٠٩.

(٥١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٣٢.

(٥٢) صفوة التفاسير، ٣/ ٣١٦.

(٥٣) في ظلال القرآن، ٢٧/ ١٤٥.

(٥٤) مشاهد القيامة في القرآن، ١١٥.

وقوعها)[٥٥]، قال أبن عباس الواقعة أسم من أسماء القيامة كالصاخة والآزفة والطامة وهذه الأشياء تقتضي عظم شأنها[٥٦]، ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون عند وقوعها نفس كاذبة تكذب بوقوعها كحال المكذبين اليوم لأن كل نفس تؤمن حينئذ لأنها ترى العذاب عياناً كقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾[٥٧].

والواقعة مهمتها ترفع أولياء الله فهم في المكانة العالية الرفيعة وتخفض أعداء الله فهم في الدرك الأسفل من النار ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ قال الحسن: تخفض أقواماً إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا أعزة وترفع آخرين إلى أعلى عليين وإن كانوا في الدنيا وضعاء[٥٨].

ثم بين الله متى يكون ذلك فقال: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي زلزلت زلزالاً عنيفاً واضطربت اضطراباً شديداً بحيث ينهدم كل ما فوقها من بناء شامخ وطود راسخ[٥٩].

قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها من بناء وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون[٦٠]، أما الجبال فهي تفتت تفتيتاً حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول بعد إن كانت شامخة، قال تعالى في آيات أخر عن مصير الأرض والجبال يوم القيامة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ١ -٢]. ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [سورة الكهف: ٤٧]، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[سورة إبراهيم: ٤٨]، ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾[سورة ق: ٤٤]، ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا

(٥٥) تفسير البيضاوي، ٥/ ٢٨٣.
(٥٦) تفسير البحر المحيط، لأبن حيان الأندلسي، ٨/ ٢٠٢.
(٥٧) ينظر: البيضاوي وأبي السعود والآلوسي وأبن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة.
(٥٨) مختصر أبن كثير، محمد علي الصابوني، ٣/ ٤٢٨.
(٥٩) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٠٥.
(٦٠) تفسير الثعلبي، ٩/ ٢٠٠.

دَكًّا ﴾ [سورة الفجر: ٢١]، ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ [سورة الواقعة: ٤]، ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [سورة الانشقاق: ٣]، أما مصير الجبال فهو كما نرى في آيات الذكر الحكيم ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [سورة التكوير: ٣]، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ [سورة الكهف: ٤٧]، ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [سورة الطور: ١٠]، ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [سورة النبأ: ٢٠]، ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [سورة القارعة: ٥]، ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ [سورة المرسلات: ١١]، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [سورة المزمل: ١٤]، ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [سورة الواقعة: ٥ -٦]، ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [سورة الحاقة: ١٤].

وهذه الآيات الكريمة تحكي عن حدوث تحولات وتغيرات على الجبال منها:

١. الحركة والسير والرجف وهي الحركة الشديدة الاضطراب تسفر عن نسق الجبال من أصلها.

٢. تعود المرحلة الثانية كأنها غبار منبث في الفضاء.

٣. أخيراً تؤول نهايتها إلى أطلال من تراب.

وهذه التحولات التي يمر بها النظام الكوني السابق توحي إلى صورة كئيبة ومرعبة عن وضع العالم ولكنها تبشر في الوقت نفسه بظهور نظام أكمل من ذي قبل.

فجو السورة ومطلعها هو تهويل وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضآلة الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى[٦١]. وهذه السورة العظيمة هائلة رهيبة قبل أن يتلقاها الحس إلا بهزة عنيفة وهي منذ افتتاحها تقرع هذا الحس وتطالعه بالهول القاصم والحد الصارم والمشهد تلو المشهد كله بإيقاع مُلح على الحس بالهول آناً وبالجلال آناً وبالعذاب آناً وبالحركة

(٦١) مشاهد القيامة، ص١١٦.

القوية في كل آن[٦٢].

الصورة الثانية: قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [سورة الواقعة: ٤١ -٥٦].

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ والقرآن يصف تارة أحوالهم في الدنيا وموقفهم من الشرع والشريعة وأخرى أحوالهم في الآخرة أما صفاتهم في الدنيا فيصفهم بالأوصاف التالية:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٥-٤٧]، ويصفهم في سورة أخرى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [سورة الحاقة: ٣٣ - ٣٤]، إن التدبر في هذه الآيات يستشف منها خلاصة صفاتهم وهي الأتراق أولاً ونقض العهد ثانياً وانكسار المعاد ثالثاً وعدم الإيمان بالله الواحد رابعاً وعدم الحض على طعام المسكين خامساً ولعل لأصحاب الشمال أوصافاً أخرى في القرآن الكريم غير ما ذكرنا وأما أحوالهم في الآخرة فيكفي في ذلك الآيات التالية:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة: ٢٥ -٢٦]، فهو لسوء المصير يتمنى عدم حشره كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ [سورة الحاقة: ٢٧]، فهو يدرك بأن ما جمعه من المال والنفوذ ما منعه من عذاب الله فيقول كما قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة: ٢٨ -٢٩]، ولكن

(٦٢) في ظلال القرآن، ٨/ ٢٤٥.

تمنيه وصراخه لا يفيده شيئاً فيأخذه الموكلون يغلونه فيصلونه الجحيم كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [سورة الحاقة: ٣٠-٣٢]، وفي سورة الواقعة التي نحن بصدد تحليل آياتها في الترهيب جاء قوله عز وجل ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٤١-٤٣]، أي تهب عليهم ريح حارة تدخل مساماتهم ويصب عليهم ماء مغلي ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ أي وفي ظل من دخان أسود شديد السواد لا بارد أي ليس هذا الظل بارداً يستروح به الإنسان من شدة الحر[٦٣]، ولا كريم أي وليس حسن المنظر يسر به من يستفيء بظله قال الخازن في تفسيره إن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرماً وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار[٦٤].

ولا بأس هنا أن ننقل الصورة الفنية الرائعة التي جاءت في كتاب مشاهد القيامة لئن كان أصحاب اليمين في ظل ممدود وماء مسكوب فأنظر لترى أصحاب الشمال في سموم وحميم فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام ويشويها والماء متناه في الحرارة لا يبرد ولا يروي وهناك ظل ولكنه ظل من يحموم ظل الدخان اللافح الخانق إنه ظل للتهكم والسخرية من نوع ذلك الظل ذي الثلاث الشعب الذي لا ظليل ولا يفني من اللهب وهو هنا لا بارد ولا كريم هو ظل ساخن وهو كذلك كزنجيل لا يحسن استقبالهم ولا يهيئ لهم الراحة والاسترواح هذا الشظف كله جزاء وفاق ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾، وما آلم الشظف للمترفين ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وهو الشرك بالله وفيه حنث بالعهد الذي بين الله وعباده على الإيمان ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ

(٦٣) صفوة التفاسير، ٣/ ٣١٠.

(٦٤) تفسير الخازن، ٤/ ٢١.

﴿ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ ونحن لا ندري ما شجر الزقوم ولكن اللفظ نفسه يجرسه يصور ملمساً خشناً شائكاً مدبباً عزق الأيدي بله الحلقوم وذلك في مقابل السدر المخضود الذي لا شوك فيه ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ فالجوع كافر والمحنة غالبة وإن الشوك الخشن بحاجة إلى ماء يسلك الحلوق والخشوم وأنهم لشاربون وشاربون عليه من الحميم الذي لا يبرد غله ولا يروي ظمأ ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ وهي الإبل المصابة بداء الاستسقاء التي لا تكاد ترتوي من الماء ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ والنزل للراحة والاستقرار ولكن هؤلاء هذا نزلهم الذي لا راحة فيه وهو شبيه بذلك الظل الذي لا ظل فيه[٦٥].

الصورة الثالثة: قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الواقعة: ٨٣ - ٨٧].

يبين الله تعالى حقيقة الموت في السورة فالموت حسب ما يصفه النبيﷺ أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فالموت عبارة عن ذهاب القوة في الشيء[٦٦].

والموت هو انتقال من مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة أخرى ومن حياة دانية إلى حياة عالية فهو بهذا المعنى ليس أمراً عدمياً فهو أمر وجودي بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [سورة الملك: ٢]، الموت سنة عامة قطعية أثبتت العلوم الحديثة أن الكون يسير باتجاه موت حراري وشيخوخة يصطلح عليها في الفيزياء بـ (الانتروبي) يقول الدكتور (فرانك ألن) أن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا العالم تفقد حرارتها تدريجياً، وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت

(٦٥) مشاهد القيامة، ١١٩ (التصوير الفني) في كتاب التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.

(٦٦) مقاييس اللغة، ٥/ ٢٨٣.

درجة من الحرارة البالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ويومئذ تتقدم الطاقة وتستحيل الحياة ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت، أما الشمس المستقرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو أيضاً حدث من الأحداث[٦٧].

ويقول الدكتور (دونالد روبرت كار) إن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية، ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني للديناميكية الحرارية[٦٨].

(٦٧) الله يتجلى في عصر العلم، ١٢، تاليف نخبة من العلماء الأمريكين الطبيعة، مقالة تحت عنوان عالم الطبيعة البيولوجية، فرانك ألن، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما، ضمن كتاب الله يتجلى في عصر العلم.

(٦٨) المصدر السابق، مقال دونالد روبرت كارت تحت عنوان موجهات جيولوجية، ٩١.

أقول: إن هذا الأصل يثبت لنا أمرين:

الأول: حدوث المادة وكونها مسبوقة بالعدم كما أن الدكتور (دونالد) إذ لو كانت قديمة بلا أول لنفذت طاقتها عبر القرون غير المتناهية.

الثاني: تقويض أسس النظام السائد تحت غطاء نفاذ الطاقات وتساوي الأجسام من حيث الفعل والانفعال والحرارة والبرودة.

والموت حقيقة كونية لابد منها، قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجمعة: ٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

خلاصة وخاتمة ونتائج

نستخلص من خلال هذه الجولة في رحاب القرآن الكريم، أن إسلوبي الترغيب والترهيب هما العلاج الناجع في إعداد نفوس المؤمنين، فقد وضح

البحث مفهومي الترغيب والترهيب، لغة واصطلاحا والعلاقة بينه وبين التربية في الوصول بالمؤمن إلى الوجه الأكمل، في تصوير يوم القيامة وما يكتنفه من أهوال وما يفيضه من ملذات تستشعر فطرة الإنسان ووجدانه في حوار قرآني وتقديم قصصي أداته وآلته الترغيب والترهيب.

يوجه الترغيب والترهيب المؤمن ليعيش بين الخوف والرجاء، يخاف أن تحل به نقمة الله، وفي نفس الوقت يرجو من الله الرحمة؛ لهذا كان القرآن الكريم يحث على البر والإحسان والنهي عن الإثم والعدوان.

تبرز أهمية الترغيب والترهيب في القيام بعمل يرضى الله عنه ورسولهﷺ، ثم يتبعه ما يتضمن ترهيباً من القيام بعمل يُغضب الله ورسوله. وقد يكون العكس، فيبدأ القرآن الكريم بذكر ما فيه ترهيب، ثم يردفه ما فيه ترغيب، فقد يذكر القرآن الكريم جزاء الكافرين، ثم يعقبه بجزاء المؤمنين؛ ليجمع بين الترغيب، والترهيب، والوعد، والوعيد، ويعتبر هذه الطريقة في مداواة النفوس بمزيج الترغيب والترهيب؛ لتنشيط عباده المؤمنين لطاعاته، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه.

ذكر البحث طرق ذكر الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، فمنها يأتي في آية واحدة، أوان يأتي في آيتين، أن يأتي هذا الأسلوب ضمن مجموع آيات، فتارةً يدعو بالترهيب وتارة بالترغيب وتارة يجمع بين الترغيب والترهيب.

من خلال البحث تبين أن الاجواء التي يستشعرها المستمع لسورة الواقعة أجواء تهويل وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضآلة الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة.

يلاحظ البحث أن سورة الواقعة هي من العهد المكي، وقد عالجت قضية النشأة الآخرة رداً على قول الشاكين فيها من المشركين المكذبين بالقرآن الكريم وبما جاء به رسولهﷺ.

وتشتمل سورة الواقعة على التعرض لأحوال يوم القيامة وما يكون بين يدي الساعة وانقسام الناس إلى ثلاث طوائف (أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، السابقون) وكل فريق وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء العادل يوم الدين كما أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته في بديع خلقه وصنعه في خلق الإنسان وإخراج النبات وإنزال الماء وما أودعه الله من القوة في النار ثم نوهت بذكر القرآن الكريم وأنه تنزيل رب العالمين وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من شدائد وأهوال.

اشتملت السورة على كل أنواع البيان العربي من محسنات لفظية ونكت بلاغية واساليب بيانية غاية في الروعة ففيها جناس الاشتقاق، إذا وقعت الواقعة، الجناس الناقص والطباق بين الميمنة والمشأمة وبين الأولين والآخرين وبين خافضة ورافعة والتشبيه المرسل المجمل، والتفخيم والتعظيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتهكم والاستهزاء، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والجملة الاعتراضية وفائدتها لفت الأنظار إلى أهمية القسم، مع توافق الفواصل في الحرف الأخير مما يزيد في رونق الكلام وجماله بما يسمى هذا بالسجع المرصع وهو من المحسنات البديعية.

قام البحث بدراسة تحليلية بينت صورا للترغيب وصورا للترهيب، فقد احتوت سورة الواقعة على مشاهد ليوم القيامة ورسمت صوراً للنعيم مرغبةً فيه دالة على الخير وعمل المعروف حتى ينال الإنسان حسن العاقبة وجنات النعيم.

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية -لبنان/ بيروت -١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

٢. الترغيب والترهيب، الدكتور عبد الحكيم السعدي، تنقيح الدكتور عبد الستار حامد، مطابع الدستور

التجارية، بغداد.
٣. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وأهميتهما في الدعوة إلى الله، كيلان خليل حيدر، مجلة العلوم الاسلامية، مجلد٧، العدد١٣، السنة٢٠١٣م.
٤. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.
٥. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
٦. تفسير أبي السعود -أبو السعود، محمد بن محمد أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت.
٧. تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١م، المطبعة: لبنان/ بيروت-دار الكتب العلمية، الناشر: دار الكتب العلمية.
٨. تفسير الثعالبي، الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة -الشيخ علي محمد معوض-والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط الأولى، ١٤١٨المطبعة: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الناشر: دار إحياء التراث، العربي، مؤسسة التاريخ العربي -بيروت - لبنان.
٩. تفسير الثعلبي، الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ -٢٠٠٢م، المطبعة: بيروت -لبنان -دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
١٠. تفسير البغوي، البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، المطبعة: بيروت -دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة.
١١. تفسير البيضاوى، البيضاوي،

بيروت –دار الفكر، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١٢. تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، دار المعرفة، لبنان.
١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، سنة الطبع: ١٩٩٢ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت–لبنان.
١٤. تفسير سورتي الواقعة والجمعة، جميل القريشي.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، سنة الطبع: ١٤٠٥ –١٩٨٥ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت–لبنان.
١٦. جامع البيان، إبن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: تقديم: الشيخ خليل الميس ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ١٤١٥ –١٩٩٥ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت –لبنان.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٨. فتح القدير، الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، المطبعة: عالم الكتب، الناشر: عالم الكتب.
١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١–إحياء الكتب العربية –البابي الحلبي.
٢٠. نهج البلاغة، محمد عبدة، ط١–دار الفكر.
٢١. اليوم الآخر، دكتور عمر سليمان الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح الكويت ١٩٨٦.